ذاكرة المدينة في رحلات باسم فرات

عمار جاسم محمد

جامعه بغداد\كلية التربية ابن رشد

ا.م.د.تغريد عبد الخالق هادي

taghreedhadi76@gmail.com

الملخص :

تُعدّالمدينة هي اللبنة الأساسية في بناء الرحلة عند باسم فرات لما تتمتع به من بناء عمراني وطبيعي مما أهلها أن تكون مكاناً جاذباً للشخصيات ولاسيما للرحالة " باسم فرات " ، وللسياحة بصورة عامة ، لذا فقد توقفنا في دراستنا لفن الرحلة عند عدد من المدن بحسب الخواص التي تتمتع بها وتميزها عن غيرها من المدن بوصفها أماكن جاذبة ، فاشتمل بحثنا على المدينة ذات الخواص الطبيعية " الجغرافية " كمدينة " ميساواجي " و " كوزكو " ، وغيرها من المدن الآسيوية . ومن ثم توقفنا عند المدن التي تقع على الساحل وتحتوي على المرافئ للسفن لما تشتمل عليه من تنوع ثقافي كبير لأنها مدن تستقبل الوافدين من السياح من مختلف الثقافات و الأمزجة اللغوية والدينية ومن ثم عرضنا على العواصم بوصفها قبلة الرحالة لما تحتوي عليه من تنوع في الأمكنة واشتمالها على التطور و الحضارة فضلاً عن مميزاتها الثقافية و الدينية .

كلمات مفتاحية : المدينة ، رحلة ، الآخر ، المكان التاريخي ، المكان الديني ، العواصم .

نتائج البحث :

عند توقفنا عند دراسة أحد الأمكنة البارزة في فن الرحلة إلا وهو (المدينة) ، فلقد توصلنا لعدد من النتائج وهي :

1 – اختلاف المدينة بدلالاتها وثقافتها وعاداتها وتقاليدها ، بحسب البلد الذي تنتمي إليه لأن المكان يشتمل على مظاهر إنسانية تنتمي للبلد الذي يحتوي هذه المدينة .

2 – حضور المدينة في فن الرحلة بشكل مكثف أكثر من القرية وذلك لأن الرحالة يقصدون الأماكن المعروفة والمأهولة بالسكان أكثر من غيرها في سفرهم .

3 – حضور المدينة بشكل مكثف في فن الرحلة مما أفرز أنواعاً وانماطاً متعددة لهذا المكان ولاسيما المدن المعروفة بإرثها الثقافي المعرفي والديني .

4 – تميز بعض المدن بثيمة معينة دون غيرها ، فمثلاً هناك مدن دينية أو مدن ساحلية ، أو مدن ذات طابع اقتصادي ، أو مدن ذات طبيعة خلابة .

5 – امتازت المدن الأوربية بطابع مميز ، ولاسيما المدن غير المعروفة عالمياً والتي تُعدّ مدن مغمورة .

6 – اختلاف المدن الآسيوية عن المدن الأوربية في اغلب الصفات ولاسيما الطبيعة الجغرافية والبيئية ، والعادات والتقاليد ، واللغة والدين ، إلا أننا وجدنا ميلاً كبيراً لدى الرحالة للمدن الغير معروفة .

المدينـــــــــــــة

وهي من الأماكن الطبيعية التي نالت قسماً كبيراً في رحلات باسم فرات وتنوعت بحسب تنوع المكان وأن سبب بروز هذا المكان الطبيعي دون غيره أن الرحالة " باسم فرات " أن الرحالة قد ذكر مدن في رحلاته لم يتناولها أحد قبله من الرحالة كون هذه المدن مغمورة وغير معروفة للجميع كوننا نتعامل مع العالم الواقعي ولهذا فأن الرحالة قد زار هذه المدن بنفسه . إن المدينة تُعدّ مكان لمعرفة التغيرات والأحداث التي تحصل في فضاء خاص مفتوح [1]، ومن خلال نظرتنا للمدن في الرحلات ارتأينا إلى تقسيمها إلى عدة أقسام ومنها :

أ- المدن ذات الطبيعية الجغرافية (السياحية) :

جاءت هذه المدن في أكثر رحلات باسم فرات ومنها بلدة " ميساواجي " وهي بلدة صغر من حيث المساحة فيقول: " **ميساواجي اسم المنطقة لا أقول البلدة فهي أصغرمن ذلك بكثير ...، ميساواجي حسب لهجة السكان المحليين وفي لفظ آخر ميسايايي، أي قلب الياء جيماً وبالعكس، وهي جزء من الأمازون** " [2]، ولهذا حسب هذه اللهجنة فأن " المدينة هي مسكن الإنسان الطبيعي، وهي المكان الإنساني الأفضل المبني لسعادته، شأنها في ذلك شأن كل تجمع بشري كالقرية أو البادية في أول الأمر"[3]، هذا ماوجدناه في هذه المدينة . أما مدينة " كوزكو كوسكو " فأن الرحالة يصفها بأنها من المدن المهمة حيث دخلت ضمن تصنيف اليونسكو فيقول : " **تمتاز كوزكو " كوسكو " بأنها تقع على ارتفاع 4300 متر فوق مستوى سطح البحر ونفوسها حسب إحصائية 2013 م، يزيد على 400 ألف نسمة، وهي تُعدُ ميراثاً إنسانياً بحسب تصنيف اليونسكو** " [4]، ولهذا عَدَّها الرحالة من المدن المهمة في كولومبيا من حيث دخولها في تصنيف اليونسكو " وتنتقل صورة المدينة هذه عبر الأزمان والأجيال مع بعض التغييرات اللازمة، للتكييف مع مستجدات الحياة، فضلاً عن ذلك أنها ظاهرة مكانية خاضعة للتطور الزمني " [5]، هذا التغيير مالمسناه في هذه المدينة . ومن المدن الأخرى التي قصدها الرحالة مدينة " تشيانغ ماي " التي تعد أكبر مدن شمال تايلاند، إذ يقول : " **واصلنا المسير إلى تشيانغ ماي أكبر مدينة في شمال تايلاند ومركز محافظة تشيانغ ماي، وكانت**

---

[1] ينظر : بُنية المكان في رواية " صائد اليرقات " لـ " أمير تاج السر "، عبد الرحمن مزياني، رسالة ماجستير في ميدان اللغة والأدب العربي، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي، 2012 – 2013 م : 46.

[2] الحلم البوليفاري رحلة كولومبيا الكبرى : 32 – 33 .

[3] دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان، قادة عقاق، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د . ط، 2001 م : 22 .

[4] الحلم البوليفاري رحلة كولومبيا الكبرى : 60 .

[5] دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان، قادة عقاق: 23.

العاصمة السابقة لمملكة " لان نا " [1]، ومن المدن الأخرى هي " ماي ساي"، التي وصفها الرحالة بأن نهر ماي ساي يفصل بينها وبين ميانمار، فيقول : " **بلدة حدودية محاذية لميانمار، يفصل بينها نهر ما ي ساي، والمدينة المقابلة لها في ميانمار هي تاتشيليك،، وصلنا في الحادي والثلاثون من كانون الأول ديسمبر** " [2]، فالرحالة دائماً ما يصف الأماكن وصف تفصيلي، هذا ما وجدناه في كتب الرحلات ومالمسناه في وصف الرحالة لمدينة " هوي " على الرغم من أنها مدينة يعم فيها الهدوء، إلا أن هذا الهدوء لا يسلم من صخب السياح فيقول : " **تميز هوي ساي " هوي يساي " بأنها بلدة صغيرة هادئة يُمزق السياح هذا الهدوء بصخبهم، مازالت تحتفظ بطبيعتها البكر** " [3]، من مدينة سياحية التي تفتقد إلى الهدوء، إلى مدينة أخرى من مدن تايلند وهي " بوتن " على الرغم من أنها تقع ضمن الأراضي اللاوية بحيث نجد معظم سكانها يتحدثون اللغة الصينية المندرينية إذ يقول :" **بلدة بوتن هي بلدة حدودية مع الصين، تقابلها من الجهة الثانية الصينية بلدة موهان، وعلى الرغم من إن بوتن بلدة تقع ضمن الأراضي اللاوية، لكن أغلب الساكنين فيها يتحدثون اللغة المندرينية** "[4]، هنا في هذه البلدة تحدث الرحالة عن استعمال ساكنيها اللغة الأخرى غير لغة البلد على الرغم من أن " اللغة التايلندية لا تعتبر صعبة صعوبة اللغات العريقة كالصينية واليابانية، ولكن فيها حروفاً يصعب النطق بها على من لم يتعوده وإن كانت قليلة " [5]، تايلند من المدن الثرية في طبيعتها ومدنها حتى في تنوع الإثنيات . حيث يصف الرحالة مدينة " منغلا " وصفاً دقيقاً من حيث الإثنيات التي تضمها فضلاً عن اللغات الموجودة فيها إذ يقول : " **وصلنا إلى مدينة منغلا التي تضم بين خافقيها ستاً وعشرين إثنية، وستاً وعشرين لغة في مدينة عدد نفوسها أقل من مئتي ألف نسمة ...، بعض هذه اللغات تنتمي إلى دول حوض نهر ميكونغ لا سيما لاوس وتايلاند** " [6]، هذه المدينة متنوعة من حيث اللغات التي تضمها إلى جانب لغة البلد الأصلية ونرى في مدينة أخرى التي تشتهر بأنها من المناطق الجبلية، ويبدو إن الوصف في " أدومساي " يحقق للنص مظاهر الشيء الموصوف أو مظاهره حيث يصفها من حيث المحافظات التي تحيط بها إذا يقول : " **واصلنا الطريق إلى محافظة أدومساي، ومركزها بلدة موانغ ساي وهي محافظة يحدها من الشمال الصين، ومحافظة فونغ ساي من الشمال الشرقي، ومحافظة لوانغ بروبانغ من الشرق والجنوب الشرقي ...، وهذه المحافظة الجبلية ترتفع في أدنى نقطة لها 300**

---

[1] طواف بوذا : 102 .

[2] المصدر نفسه : 103 .

[3] المصدر نفسه : 113 .

[4] المصدر نفسه : 114 .

[5] مشاهدات في تايلند ، محمد بن ناصر العبودي، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، ط1، 1421هـ – 2001 م : 52 .

[6] طواف بوذا : 115 .

متر، و1800 متر في أعلى نقطة لها فوق مستوى سطح البحر "[1]، الرحالة هنا ذكر كل مدينة في تايلند من حيث شهرة كل مدينة بعمل معين من حيث شهرتها بأنها منطقة جبلية.

أما بالنسبة لبلدة " نونغ خياو " حيث يصف الرحالة هذه البلدة التي من وجهة نظره هي أقرب إلى القرية من حيث جمال الطبيعة الخلابة الموجودة فيها فيقول : " **وهي بلدة أقرب إلى القرية، يحفها الجمال وتزدان بها الألفة، يتربع الهدوء على عرشها، وخضرة القلوب الليمونية *، تحيطها إحاطة خاتم الحب بالأحلام** "[2]، هذه المدينة التي برع الرحالة في وصفها كأنه رسام برع في رسم لوحة فنية فضلاً عن أن الرحالة عمل في مجال التصوير الذي زاد خبرته في الوصف لهذه المدن والإبداع في توصيل المعلومة الدقيقة عنها . في حين نجد في مدينة أخرى هي مدينة " سامنوا " على الرغم من موقعها الجغرافي إلا أن هذه المدينة تكون الزيارة إليها قليلاً من الآخر الغربي فيقول : " **دخلنا إلى سامنوا وهي مركز محافظة هوافان، وهذه المدينة قليلاً ما يزورها السياح الغربيون ؛ تقع شمال شرق لاوس، تتمتع بتنوع ديمغرافي واضح** " [3]، وهذه ميزة المدن بعضها تشتهر بالسياحة وبعضها تقل فيها السياحة حسب كل مدينة وشهرتها .

أما تنقله إلى مدينة أخرى، هي مدينة " سابا " التي وصفها الرحالة من المدن المميزة من حيث تنوعها الإثني، فيقول : " **سابا تُعدّ واحدة من أفضل المناطق التي تستحق الزيارة في شمال فيتنام، وربما بالنسبة لمهتم بالتنوع الإثني مثلي يجدها مكاناً مثالياً مثلما عليه الحال في شمال لاوس**"[4]، تتمثل المدينة بؤرة الحركة في معظم رحلات باسم فرات، بحيث تصبح المكان الغالب ومرجعية طبيعية للبلد نفسه . أما رحلته الأخرى إلى إحدى مدن الأكوادور، هي مدينة " ساليناس " وهذه من المدن السياحية " **وصلت إلى ساليناس وهي أبعد نقطة في غرب الأكوادور، على شكل ذراع في جسد المحيط ...، وكان المكان يعج بالسائحين وهم بملابس البحر حيث الحرارة تغري الأجسد بالسباحة** "[5]، وصف الرحالة هذا المكان من حيث العادات التي تشتهر بها هذه المدينة إلا أنه " يمكن أن يتحول المكان إلى أداة للتعبير عن موقف السارد " [6]، من حيث الأحداث التي تحصل في هذا المكان، من حيث هو عمل يُسهل على القارئ مهمة تتبع الأحداث التي

---

[1] المصدر نفسه : 121 .

[2] المصدر نفسه : 126 .

[*] هي جبال الحجر أو الصخر الليموني، سلسلة كهوف تام فاتوك التي كانت ملجأً للناس في حرب الهند الصينية الثانية (ينظر : طواف بوذا : 126)

[3] طواف بوذا : 127 .

[4] المصدر نفسه : 177 .

[5] مسافر مقيم عامان في أعماق الأكوادور : 43 .

[6] التبئير السردي في رويات تحسين كرمياني، بختيار خدر ده ركه له يي : 193

تحصل في هذا المكان[1]. من حيث توصيف الرحالة للأماكن حيث يصف رحلته إلى مدينة " أيامبه "، التي وصفها بأنها منطقة يعم فيها الهدوء " **إلى منطقة هادئة تماماً هي أيامبه ليس سوى المحيط وأكواخ قليلة وسط غابات رائعة، أربع ليال هادئة، تصوير الطيور المدهشة بألوانها والتمتع بمراقبتها وتغريدها**"[2]، وهذه المدينة من المدن التي تعم بطبيعة خلابة ، ويقول الرحالة أيضاً عن طبيعة أيامبه " **أيامبه قرية صغيرة في خلوة المحيط، وغفوة الغابات محطة لدهشة الطيور واسترخاء الحيوانات ...، تتنوع السحالي الصغيرة فيها وهي متحف الطبيعة الخجول** " [3]، فضلاً عن تنوع طبيعتها يضفي تنوع الحيوانات فيها من هذه المدينة التي تعم بهذه الطبيعة إلى مدينة أخرى .

وهناك أماكن يذهب إليها من أجل المتعة، فمن هذه الأماكن مدينة " غِسبرن " حيث أنها أول مدينة في العالم تستقبل شروق الشمس " **مدينة غسبرن أول مدينة تستقبل شروق الشمس في العالم، وحين زرت النقطة الأولى، وفيه نصبُ ومكان يزورهما الناس للتمتع بأول شروق للشمس على الأرض، أعني النقطة التي تُلامسها الشمس** " [4]، هنا ذكر هذه المدينة من أجل معرفة شهرة هذه المدينة من حيث شروق الشمس تبدأ من هذه المدينة . إلى جانب المدينة الأخرى التي زارها الرحالة للمرة الأولى هي مدينة الضباب النيوزلندية فيصف أجواءها الجميلة " **مدينة الضباب النيوزلندية، كنت محظوظاً في أثناء زيارتي الوحيدة لها، كان الطقسُ جميلاً، السماء التي تودع غيومها سريعاً، فتصغو السماء إلى الشمس، مثلما تصغو الأيام أحياناً لنا، فلانصدق صفاءها إلا باعتباره ليكمن غدراً خلف ذلك** " [5]، هذه المدينة التي وصفها الرحالة بأن وقت شروق الشمس فيها قليلاً بالقياس إلى الضباب المنتشر فيها أن هذه الوصف يجعل القارئ متحمس لهذه المعلومات مما يجعله متواصلاً للقراءة . ويمكن أن نلاحظ من خلال هذه الرحلة هناك أماكن لن تُمحى من الذاكرة منها رحلته إلى مدينة " ملفورد ساوند " إذ يصفها الرحالة وصفاً دقيقاً " **إنها ملفورد ساوند، في طائرة صغيرة أقلتني إلى المكان، وعلى امتداد نصف ساعة أو أكثر أو أقل، أدهشتني الطبيعة، فعلى الجبال تلك البحيرات والشلالات والأنهار سحرتني** " [6]، ومن المدن الأخرى في أوتاروا هي مدينة " داندن " التي تُعدّ رابع مُدن أوتاروا، وتقع في جنوب الجزيرة الجنوبية، وتُعدّ ثاني أكبر مدينة بعد مدينة كنيسة المسيح كرايس " تشيرتش " وهو يعبر عن دهشته وفرحه لزيارته هذه المدينة [7]، من ثاني أكبر مدينة في أوتاروا إلى أصغر مدنها هي تيمارو " تيمرو " فيصفها الرحالة وصف تفصيلي " **مدينة صغيرة، هي ميناء**

---

(1) ينظر : بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، د. حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1991 م : 59 .

(2) مسافر مقيم عامان في أعماق الأكوادور : 45 .

(3) المصدر نفسه : 46 .

(4) لا عشبة عند ماهوتا : 95 .

(5) المصدر نفسه: 100 .

(6) المصدر نفسه : 116 .

(7) ينظر : المصدر نفسه : 129 – 130 .

مهم في جنوب محافظة إقليم كانتربري تقع 196كيلو متراً شمال شرق داندن، و157 كيلو متراً جنوب غرب كنيسة المسيح تشيرتش، تكونت من حمم بركانية واستعملت أحجارها في بناء البيوت، شوارعها متموجة، ذكرتني بالمنطقة المتموجة في العراق " [1]، هناك أماكن تبعث الراحة لكل من يذهب إليها من حيث أجواها وطبيعتها كون هذه المدينة قد استدعت به الذاكرة إلى أحد مناطق العراق من حيث أنها شبهها بالمنطقة المتموجة، وهناك أماكن ملئية بالحقد والكراهية اتجاه الآخر.

أما زيارته الأخرى كانت إلى بعض الأماكن التي يذهب إليها " باسم فرات " والتي تشعره بالراحة، فهو حين يصف مدينة " كيتو " بجمالها فأنه يستشعر بها مدينة بغداد " **لكيتو منزلة كبيرة عندي، فهذه المدينة فعلاً أحبها حيث أشعر بجمالها، أحياء سكنية جميلة تشعرني بأحياء بغداد رغم أنها تشبه عمان كثيراً سوى أنها خضراء ومليئة بالحدائق والمتنزهات** " [2]، هنا من خلال وصفه لمدينة كيتو التي احس بأنها أقرب إلى روحه بسبب قرب الشبه بينها وبين مدينة بغداد من ناحية احياءها وأزقتها في حين " إن البشر حين أحبوا أمكنتهم وألفوها، لأنها ذواتهم وكياناتهم فظلوا متوحدين بها رغم التحولات الكبيرة التي تعرضت لها، مما جعلها تكتسب ذواتهم الإنسانية "[3]، والرحالة يظهر ذلك من خلال حبه وعشقه لمدينة بغداد. وهو يتذكرها حيث يراها عاصمة الدنيا ويذكر أنه كان عندما يزورها مع جدته يشعر بالراحة [4]، إنه الحنين لهذه المدينة نراه من خلال هذا الوصف . ومن خلال ذلك يقول برادلي " إن المكان كوحدة تستحيل معرفته في الواقع المباشر على أساس أن معرفتي بالمكان الذي أوجد فيه معرفة محددة بعناصر الإدراك الحسي المكانية " [5]، هذا ماوجدناه في رحلات باسم فرات حيث أن المخطط لهذه الرحلات والأمكنة والمدن هي زوجته جينيت، فإن معرفته للمكان محدودة .

ومن أمثلة هذا الوصف فأنه يرى وجهته التالية بعد هذه المدينة إلى مدينة أخرى التي كانت له ذكريات لا تمحى من ذاكرته إلى جمهورية لاوس الديمقراطية، فيقول : " **لكن حين أزفَ الرحيل والانتقال إلى جمهورية لاوس الديمقراطية الشعبية، كنت أودعَ جزءاً مهماً من حياتي وأُلفتي والسلام الذي عشته مع النفس** " [6]، أن تنقل الرحالة من مكان إلى آخر يجد " إن النقطة الأساسية التي يجب التأكيد عليها في هذا المضمار، هي تموضع الأنا والآخر في مكان واحد وفضاء عملي واحد، فلا يمكن الحكم على الآخر بأنه

---

[1] المصدر نفسه : 132 .

[2] مسافر مقيم عامان في أعماق الأكوادور : 102 .

[3] أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، د. مرشد أحمد، دار الوفاء للطباعة والنشر، الأسكندرية – جمهورية مصر العربية، ط1، 2003 م : 41 .

[4] ينظر : مسافر مققيم عامان في أعماق الأكوادور : 171 .

[5] مفهوم المكان والزمان في فلسفة الظاهر والحقيقة " دراسة في ميتافيزيقا برادلي، د. محمد توفيق الضوى، منشأة المعارف بالاسكندرية، د. ط، 2003 م : 48 .

[6] طواف بُوذا: 16 .

الآخر مالم يكن هناك صلة تربط الأثنين ببعضهما "[1]، وهذه الصلة ما يصفها لنا " باسم فرات " من خلال علاقته بالآخر وارتباطه بهم وانغماسه في داخل مجتمعهم وعاداتهم وتقاليدهم .

ب- المدن الساحلية

وهي من المدن التي تشتهر بها الرحلات وذات مرجعية طبيعية أيضاً كونها تقع على ضفة أحد الأنهار المتواجدة فيها ومنها، في محافظة " لوانغ نامتا " التي يصف معناها الأرض أو المنطقة فيقول : " **تقع على ضفتي نهر نامتا، ومعناها الأرض أو المنطقة التي تحيط بنهر " تا " فكلمة لوانغ تعني المنطقة، ونام تعني نهر**" [2]، الرحالة وصف هذه المدينة وصف دقيق في حين . فلابد الأهتمام بهذا الوصف سواء كان هذا الوصف خاص بالأرياف أو المدن ، أو كان هذا الوصف مرتبطاً بالشخصيات أم بمفردها [3] .

تتشكل المدينة في رحلة "باسم فرات " من حيث موقعها وما تتميز به، حيث يقول عن مدينة ناترانغ : " **المدينة التي سكانها تزيد على أربعمائة ألف نسمة الآن يزيد على النصف مليون، تتميز بشواطئها الشهيرة، وبالغوص ورياضة التزلج على الأمواج، الأسم التاريخي لها هو كوثرا**"[4]، حيث نجد هذا الأسم لهذه المدينة عربياً مما يدل على التأثير العربي على هذه المدينة فضلاً عن أن هناك مدن يرتبط أسمه بالتاريخ . أما محطته الأخرى بعد مدينة ناترانغ هي إلى مدينة " دانانغ "، إذ يصف سحر هذه المدينة من حيث طبيعتها وشواطئها : " **مدينة ساحلية شواطئها هادئة جداً ومياهها صافية زرقاء ساحرة تقف أمامها فلا تشعر بريح هوجاء مثلما عليه الحال في شواطئ زي الجديدة نيوزيلندا، لاسيما العاصمة وَلَنغتُن** " [5]، أن وصفه لهذه المدينة التي تبحث الراحة لكل من زارها بسبب طبيعتها الساحرة التي تصبح مصدر جذب للسياح .

من المدن التي لها تأثير كبير على حياة الرحالة " باسم فرات " من الناحية المادية والمعنوية وكانت سبب في زيادة المقدرة الشعرية عنده، وانها مدينة الذكريات الجميلة هي " هيروشيما " خُلدت في التاريخ فهي ليست مدينة عادية وليست كالمدن الأخرى، تفرض نفسها بتاريخها وعراقتها، **إذ يقول : " وكانت هيروشيما بالطبع المدينة التي عشتُ فيها ثلاث أعوام أعدها من أجمل أعوام حياتي، وبلا شك ثمة أسباب أخرى : منها انبساط مدينة هيروشيما، وأنهارها الستة وقربها من البحر ومن الجبل أي سهولة المشي أوركوب الدراجات الهوائية فيها ؛ فضلاً عن نظافتها التي يتولى شأنها أهلها** " [6]، أن الرحالة " باسم فرات " له قدرة كبيرة في الوصف المكاني والتعامل مع الآخر حسب ما تمليه عليه الأمكنة، وهذا يعود إلى إحساسه العالي

---

[1] جماليات التشكيل الروائي دراسة في الملحمة الروائية " مدارات الشرق " لنبيل سليمان، محمد صبار عبيد، د. سوسن البياتي : 64

[2] طواف بوذا: 80 .

[3] ينظر : جماليات التشكيل الروائي، محمد صابر عبيد، د. سوسن البياتي : 219 .

[4] طواف بوذا : 151 .

[5] المصدر نفسه : 158 .

[6] المصدر نفسه : 15 .

بواقع المكان وطريقة وصفه، حيث نراه يصف الأماكن وصفاً دقيقاً، ليقدم المتعة للقارئ من خلال المعلومات والمشاهد الحقيقية التي تعامل معها، فصور الطبيعة فيها عبر وصفه للشوارع والأنهار ومظاهر الطبيعة فيها فضلاً عن نسق الحياة اليومية وثقافتها، وهذه المدينة لها أكثر من أهمية كون الرحالة باسم فرات قد ذكرها في اغلب رحلاته

ج – المدن الاقتصادية (مركز المدينة، العواصم) :

فمن طبيعة هذه المدن مصدر رزق للبلد وكونها تمثل عاصمة لكل بلد من البلدان التي اشتملتها الرحلات ومنها مدينة " ليما " وهي من المدن التي وصفها الرحالة بأنها مدينة الملوك بلا مطر، فضلاً عن موقعها بقرب الأنهار إذ يقول : " **ليما عاصمة البيرو لا تعرف المطر ولا تعنيها الثلوج والأعاصير والبرق والرعد بشيءٍ، صحراء على شفة محيط، ومحيط يتأهب لعناقها، ثمة أنهار تحاول أن تقترب منها، هو غزل يشبه غزلي وأنا طفل بفتاة كربلائية** " [1] . نلاحظ من خلال هذا المقطع أن الرحالة من خلال وصفه لهذه المدينة اعتمد على خاصية الوصف التزييني إلا ان الرحالة لم يكتفي بهذا الوصف، إذ يشبه قرب هذه الأنهار من هذه المدينة بغزله بالفتاة الكربلائية. أما تنقله إلى مدينة أخرى هي مدينة " غوايا كيل " كما يراها من أكبر مدن الأكوادور : " **وصلت غواياكيل وهي أكبر مدينة في الأكوادور وتقع على مشارف ألسنة بحرية حيث ابتداء ذوبان الأنهار توهجاً في أتون المحيط** " [2]، وهي من المدن المشهورة في الأكوادور " وتعد أهم مرفأ استيراد وتصدير في البلاد على المحيط الهادئ " موز – كاكاو، بن " أكبر مركز صناعي " أقمشة، كيميائيات، مصانع أحذية، اسمنت " ومصفاة للنفط " [3]، حيث اصبحت من المدن المهمة في الأكوادور كونها تمثل واحدة من المدن الاقتصادية ومصدر رزق لهذا البلد . ومن المدن الاقتصادية الأخرى والتي استدعائها الرحالة لهذا المكان واستحضاره عبر عملية التذكر وهي من بلاد الرحالة وفي اثناء رحلاته نجده يتذكر أهم المدن في بلاده التي لها مساهمة كبيرة في الثقافة، ومن حيث طيبة أهلها إلا وهي " البصرة "، فيقول: " **كانت حفاة البصرة ثقيلة فحين تُحاط بكل هذا الحب والكرم والود من أدباء مدينة هي واحدة من أهم مدن الشرق وأكثرهم مساهمة بالثقافة العربية الإسلامية** "[4]، ومن خلال ذلك نرى وصفه لمدينة الثقافة من حيث منبع الشعراء وهي مدينة البصرة، فضلاً عن ذلك أنها تعدّ مصدر مهم من المصادر الرئيسة والتي يعتمد عليها بلد الرحالة من منتوجاتها .

الرحالة هنا يصف أشهر مدن زي الجديدة وهي " ولنغتن " . يصفها من حيث وجود فيها اشهر ميناء في العالم : " **ولنغتُن هي عاصمة زي الجديدة، وتقع في اقصى جنوب الجزيرة الشمالية، شهيرة بمينائها المميز**

---

[1] الحلم البوليفاري رحلة كولومبيا الكبرى : 64 – 65 .

[2] مُسافرٌ مُقيم عامان في أعماق الأكوادور : 25 .

[3] الموسوعة التاريخية الجغرافية، مسعود الخوند، دار رواد النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، د. ط، ج 2، 1994 م : 316 .

[4] مسافر مقيم عامان في أعماق الأكوادور : 77 .

والجميل ،إنه أحد أجمل الموانئ في العالم، لكنها شهيرة، كونها ميناء للرياح، أحسب أن الرياح في العالم تبتدئ هنا " [1]، هناك أماكن يذهب إليها الرحالة من أجل جمع المعلومات التاريخية عنها ليقدمها للقارئ بصورة دقيقة، إلى جانب ذلك أنها تُعدّ من المدن المهمة فهي عاصمة نيوزيلندة ومركز اقتصادي مهم لهذا البلد بسبب تواجد مينائها المميز التي ترسو من خلاله السفن إلى البلدان الأخرى . ويبدو أن رحلته إلى أكبر مُدن زي الجديدة " نيوزلندا " هي أوك " أوكلاند " تلك المنطقة التي تحيط فيها الخضار من كل جانب وتقع في عزلتها وسط المحيط الهادي، فهي تعدّ العاصمة الاقتصادية للبلاد، بما فيها من مساحات واسعة وتظهر فيها الجبال والأنهار والخلجان، وأن كثير من الناس من يعتقد أنها العاصمة السياسية [2]، فإن مجموع سكانها يكاد يقترب من ثلث سكان آوتاروا * . ولهذ فأن المعلومات التي يحصل عليها من هذا المكان " يستلزم معرفة الكاتب للبيئة التي يصفها حتى يحقق أهدافه من هذا الوصف فالإحساس بالمكان لدى الكاتب وفي تعبيره عنه يفترض أن يجعل القارئ يحس بهذا الانطباع "[3]، هذا ما عملَ به الرحالة في رحلاته .

ومن المدن الاقتصادية الأخرى لدولة اليابان والتي تعدّ واحدة من المدن التي يعتمد على اقتصادها من حيث تواجد فيها أكبر مصنع للسيارات فأن الرحالة " باسم فرات " في اثناء زيارته لمدينة " ناغويا " التي تُعدّ واحدة من أكبر ثلاث مدن حضرية في اليابان وتقع ناغويا – شي، عاصمة محافظة آيتشي في الجزء الجنوبي الغربي من العاصمة طوكيو، إذ تُعدّ مركز لتصنيع السيارات، وفيها أيضاً جناح شركة " تويوتا " وميتسوبيشي، هذا إلى جانب مصانع الخزف الكبرى، وصناعة غيار السيارات، هذا ما جعل المدينة تكثر فيها العمالة الأجنبية [4]، لاحظنا هنا دور هذه المدينة كونها تعدّ واحدة من المدن ذات المرجعية الطبيعة كون الرحالة قد زار هذه المدينة بنفسه .

---

[1] لا عشبة عند ماهوتا : 41 .

[2] ينظر : المصدر نفسه : 22 .

[*] وهو الأسم الماوري لهذا البلد، الذي يقع في اقصى جنوب الجنوب وأهله يعترفون بنوع من الاعتداد .إنه آخر بلد في العالم، وأول بلد يستقبل شروق الشمس، وأول بلد أعطى حقوق المرأة (لا عشبة عند ماهوتا : 22) .

[3] الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا، د. إبراهيم جنداري : 217 .

[4] ينظر : طريق الآلهة من منائر بابل إلى هيروشيما : 159 – 160 .

د – المدن التاريخية

وهي من المدن التي تم ذكرها في الرحلات من حيث أهميتها التاريخية وماصاحبها من تغيرات، فأن كل مدينة تاريخية ذكرها الرحالة لها أمر مهم تم ذكره في التاريخ وحسب كل مدينة وما جرى لها من أحداث مرت على مر العصور ومن هذه المدن هي : المدينة التاريخية المرتبط بالشخصيات نجد مدينة " بوغاتا " التي وصفها الرحالة بأنها عاصمة الروائي غابريل مرقس: " **بوغاتا عاصمة كولومبيا، سوف أكون فيها اليوم بعد ساعات عدة أيام سأتجول في أسواقها ومتاحفها وحاراتها وأزقتها وشوارعها الخلفية، سأستنشق هواء عاصمة وفن الروائي الكبير غابريل مرقس** " [1]، نلاحظ أهمية هذه المدينة من الناحية التاريخية كونها لامست حياة إحدى الشخصيات المهمة في عالم الأدب وهو الراحل الروائي غابريل . وفي مدينة أخرى الرحالة يصف مدينة " أيوتايا" من حيث التنوع فيها، ومالها من صلاحيات اعطاء فرصة للعيش للآخر، أي الغير بوذي وغير التايلاندي، وإنه شبه هذه المدينة بمدينة بغداد من حيث التسامح مع الآخر فيقول : " **فبعد اجتياح المغول لبغداد في سنة 1258 م، باثنين وتسعين سنة، أشرقت مدينة أيوتايا بوصفها عاصمة للمملكة، وعلى امتداد أربعمائة وسبعة عشر عاما كانت العاصمة إنموذجاً للتعدد والتنوع، كانت مثل بغداد مدينة عولمية مبنية على التسامح ....، إلخ** " [2]، هنا رأينا من خلال هذه المدينة التي ارتبط أسمها بتاريخ مهم وهو غزو المغول لمدينة السلام والتسامح وهي عاصمة العراق بغداد، فبعد هذا التاريخ ظهرت هذه المدينة وهنا بين الرحالة مدى التشابه بين مدينة بغداد وأيوتايا كلاهما كان عنوانهما التسامح مع الآخر .

أما العاصمة التاريخية " أيوتايا " التي أصبحت من المدن الكبيرة فيصفها الرحالة وصفا دقيقاً: " **وتقع أيوتايا شمال بانكوك مسافة 80 كيلو متر، هذه المدينة التي تأسست عام 1350م، وأزدهرت مابين القرنين الرابع عشر والثامن عشر، لتصبح واحدة من أكبر مدن العالم** " [3]، فضلاً عن موقع هذه المدينة المميز من حيث وقوعها بين ثلاثة أنهار فيقول : " **تقع أيوتايا في موقع استراتيجي، واختارها ينم عن عقلية فذة، إذ تقع في جزيرة تحيطها ثلاثة أنهار وتصل المدينة بالبحر، وارتفاعها عن مستوى سطح البحر** " [4]، هنا بين موقع مدينة بانكوك فنجد، الكاتب هنا مهتم بهذا المكان وبيان سماته . ونراه في معظم الأحيان يرجع بذاكرته إلى موطنه فنجده يرى هذا المكان الجديد مثيراً بعينه ، لأنه يبعث في ذاكرته إلى وطنه [5]، الرحالة باسم فرات لم يكتفِ بوصف هذه المدينة بل أضاف إليها أنه من حيث موقع هذه المدينة أنها عادت به إلى مدينة بغداد وبابل من حيث ازدهارها وتنوعها الثقافي فيقول : " **هذه المدينة ذكرتني بالعراق في**

---

[1] الحلم البوليفاري رحلة كولومبيا الكبرى : 109 .

[2] طواف بوذا : 78 .

[3] المصدر نفسه : 96 .

[4] المصدر نفسه : 96 .

[5] ينظر : استراتيجية المكان دراسة في جماليات المكان في السرد العربي، د. مصطفى الضبع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د . ط، 2018م : 116 .

أمرين مهمين ؛ الأول أنها تشبه بغداد من نواح عديدة ؛ أهمها أنها مدينة التعدد الثقافي بامتياز في وقت ازدهارها، بل وتشبه بابل أيضاً، فبابل وبغداد في قمة ازدهارهما كانتا امثولتين للتعدد الثقافي والعرقي والإثني ....، إلخ " [1]، نجد الرحالة في هذه الوضعية يتحرك في مكانين منفصلين يتبادلان الوظائف . نقف عند الأهمية التاريخية لبابل بوصفها قبلة العالم القديم بجنائنها المعلقة والحضارة التي وصلت إليها فهي مهد الحضارات في العالم فضلاً عن أهميتها الدينية لذكرها في القرآن، وكذلك من خلال هذا الوصف يرى أن مدينة بابل التي وصفها بانها متعددة اللغات ومشهورة بالعالم فيقول : " **فبابل هي أول مدينة متنوعة ومتعددة اللغات، ولم يأت القول : " تبلبل الألسن " من فراغ، أنما لأن هجرة كثير من الأقوام للسكن في بابل وتكوينهم لجاليات كثيرة جداً جعل منها مدينة عالمية** " [2]، لم يغب عن بال الرحالة ذكر عاصمة العراق أينما أرتحل وأينما ذهب فإذا شاهد أنهار وبحيرات أتى في خاطره نهر دجلة والفرات أو شاهد بنايات وتذكر بنايات وعمارات مدينة بغداد إنه الشوق والحنين لبلدهِ، من الأمكنة التي ذكرها الرحالة في مدينة كانتشانا بوري هي سكة الموت، التي تتحدث عن بشاعة وجرائم اليابانيون بحق الأسرى، يقول : " **بناها اليابانيون على أكتاف أسرى الحرب، ولأن العمل كان شاقاً وغير رحيم ومارس فيه اليابانيون استغلالاً بشعاً أدى هذا إلى موت كثير من الأسرى نتيجة ذلك** " [3]، الرحالة هنا كثير الانتقال بين المدن من أجل توضيح أحداث كل مدينة وما جرى فيها فأن " السارد الذي يتحرك في أكثر من مكان ويتجاوز حدود أكثر من دولة، إنما يضع ملامح لهذا الانتقال وينظم حركته بحيث لا تختلط الأمور على المتلقي "[4]، وهذه مهمة الكاتب التنقل كثيراً من أجل هذه المعلومات المهمة . إن مرجعية هذه المدن راجعة من منابعها الأصلية كون الرحالة قد ذكرها بسبب تواجده في هذه المدن فهي ذات مرجعية طبيعية . أما المدينة التاريخية الأخرى وهي " هوي أن " فيقول عنها : " **مدينة يزيد عمرها على ألف سنة، فقد سيطر التشاميون، بين القرن السابع والعاشر ، على تجارة التوابل، لتصبح مدينة مكان اجتماع السلام وهي الترجمة الإنجليزية والأوربية لمعنى هوي أن في غاية الثراء** " [5]، هذه المدينة التي اشتهرت بتجارتها وزيارة الآخر إليها من جميع أنحاء العالم فوصفها الرحالة من حيث شهرتها في حين " ظلت عملية وصف الوقائع لا تبدأ إلا بعد تصوير الإطار الذي تتم فيه هذه الوقائع "[6]، السارد هنا يصف أحد رموز المدينة وهو الجسر الياباني، لما له من جمالية وتصميم رائع مما جعل هذه الجسر محطة انظار لمدينة هوي أن : " **فهو أحد رموز المدينة، سحرني ولا أعرف هل سبب شغفي ناتج عن عمارته وخصوصيته وفرادته، أم لأن الأعوام الثلاثة التي عشتها في**

---

[1] طواف بوذا : 96.

[2] المصدر نفسه : 97 .

[3] المصدر نفسه : 98 .

[4] المصدر نفسه: 117 .

[5] طواف بوذا : 153 .

[6] الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا، د. إبراهيم جنداري : 217 .

هيروشيما لها تأثير واضح على هذا الشغف ؛ جسر مُسقف بطرازه الياباني الذي جعل المدينة محطة مهمة للسيَّاح وعلامة فارقة في هوي أن " [1]، الرحالة له قدرة رائعة في وصف الأمكنة إذ أن " استخدام الكاتب جماليات اللغة، وحاسة البصر، ليحقق أكبر قدر من الجمالية للمكان الموصوف وعن طريق استعماله حاسة البصر رسم جماليات المدينة"[2]، لقد أعطى الرحالة باسم فرات بوصفه لهذه المدينة الصورة الحقيقية ومتمثلة على أرض الواقع التي تجعل القارئ يتفاعل معها، حيث أن كل الأحداث التي يرويها الرحالة حقيقية، ولهذا فالمكان يعبر عن الفئات الأجتماعية ومستوياتها، ومن خلال هذه الأمكنة يستطيع الرحالة تصوير الأشياء كما هي .

فضلاً عن أن هناك مدن تشتهر بتنوع أسمائها، في رحلات " باسم فرات " نلاحظ هناك أكثر المدن تحتوي على أسمين خاصةً في دول شرق آسيا، ومن هذه المدن هي هوشي منه، فيقول " **هوشي منه هي أكبر مدن فيتنام، يقطنها حوالي تسعة أو عشرة ملايين نسمة، أسمها الرسمي هوشي منه، وأسمها التاريخي سايغون** " [3]، من ناحية أخرى هناك اختلاف بين المدن، فنجد أن لكل مدينة من هذه المدن لها موقعها الجغرافي، فضلاً عن أن كل مدينة تتميز بعاداتها وتقاليدها[4].

هناك أماكن مليئة بالحقد والكراهية اتجاه الآخر منها ماوجده الرحالة " باسم فرات " اثناء تنقله إلى إحدى مدن " راوندا " والتي هي " بورندي " والتي تتكون من الأقلية الهوتوية والأغلبية توتسوية، ويبدو أن هذه المدينة حدث فيها اغتيال رئيسها وكان من " الهوتو "، من قبل ضباط الجيش وكان ذلك في اكتوبر في الحادي والعشرين من تشرين الأول 1993م، فتم على هذا الأثر تصفية بحق أقلية الهوتو مما أدى إلى لجوء 375 ألف نسمة إلى رواندا [5]، أشار الرحالة هنا إلى الأحداث التي رافقت هذه المدينة واالتقلبات التي أدت بها إلى مقتل أحد الشخصيات المهمة في هذه المدينة .

إلى جانب هذه المدينة فيمكن القول " إن المكان هو فضاء يعيش فيه الإنسان ليس بشكل موضوعي فقط، ولكن بشكل رمزي، من خلال ما يحلم به الإنسان أو يتذكره "[6]، إلى جانب ذلك هنا يتم الرحالة ذكر مدينة هيروشيما أكثر من مرة كونها تحمل أهمية تاريخية وعسكرية إلى جانب أهميتها الساحلية من حيث كونها مدينة الأنهار الستة، المدينة التي طالما حلم بالعيش فيها " هيروشيما " فإنه يراها قصيدة مليئة بالأسى والدموع هكذا بدت له صورتها في أول زيارة له، وهو يرى نظافة شوارعها، والتصميم المميز لحديقة السلام . والواضح من كلامه ما يجمع بينه وبين هذه المدينة الألفة والمحبة، حيث يرى أنه تنقل بين

---

[1] طواف بوذا : 154 .

[2] جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، مهدي عبيدي : 101 .

[3] طواف بوذا : 139 .

[4] ينظر : جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، مهدي عبيدي : 96 .

[5] ينظر : لؤلؤة واحدة وألف تل : 25 .

[6] تحليل النص السردي " تقنيات ومفاهيم، محمد بوعزة : 105 .

أربعين بلد وزار عدد من البلدان لم يشعر بها مثل شعوره بهيروشيما باستثناء مدينة بغداد [1]، هنا بين عشقه لمدينة هيروشيما لا يشبه اي مدينة باستثناء مدينة بغداد ويقول عن هيروشيما أيضاً : " **هيروشيما مدينة مغرية لابن ماء وسهل مثلي، يعشق الجبل البحر، على الرغم من أنها مدينة حيث عشتُ فيها كان عمرها أقل من ستين عاماً، بسبب ما تعرضت له في آب 1945 ميلادية** " [2]، وذكر الرحالة أيضاً حادثة هذه المدينة التي لا تُنسى أي " أن أية مدينة يتوفر لها الماء هي جميلة بذاتها . وقبل الحرب كان ماؤها صافيا عذبا، رغم اتصاله بالبحر بمسافة قصيرة " [3]، أما وصفه لعادات اليابان عموماً ولهيروشيما خصوصاً ، فيقول : " **هيروشيما الأسر التي تنهض صباحاً لتنظيف الحارة ووضع الأوساخ والفضلات في مكانها المخصص، حتى كأن الشوارع والأرصفة والأزقة والحدائق والمتنزهات تتباهى بنظافتها أمام نظافة بيوت اليابانين** " [4]، هنا وصف الرحالة وبين أكثر من مرة ان النظافة في اليابان شيء مميز لا يمكن تجاهله وهناك عادات لابد للرحالة من ذكرها . وهي وصف الرحالة الاحتفال بالذكرى الستين لإلقاء أول قنبلة نووية في العالم في هيروشيما، والواضح أنه وصل قبل ستة أيام من الاحتفال السنوي أي في الحادي والثلاثين من شهر تموز " يوليو " كان احتفالاً مميزاً من حيث الأعداد والفعاليات والضيوف، على الرغم من مأساوية الحدث إلا أنه كان حفلاً بهيجاً حيث حضر للاحتفال محافظي المحافظات والمدن في العالم، فضلاً عن الفرق الفنية المشاركة، ومن ضمن الشخصيات التي حضرت الاحتفال رئيس الوزراء الياباني، ورئيس مجلس النواب الياباني، ومحافظ هيروشيما، وومثل الأمين العام للأمم المتحدة " كوفي عنان "، ومن خلال الاحتفال فقد ذكروا أن عدد القتلى خلال دقائق " سبعون ألف شخص "، وبعد ثلاث أشهر وصل إلى مائة وأربعين ألف ضحية [5]، هنا إلى جانب هذا الاحتفال في هذه المدينة ذكر أيضاً تواجد الشخصيات في هذا المكان لحضور هذا الاحتفال . ومن المدن التي شهدت أحداثاً مأساوية لها هي مدينة التوأم لهيروشيما هي " ناغازاكي، التي استقبلت القنبلة النووية الثانية بعد هيروشيما بثلاث أيام، وموقع ناغازاكي على قمة رأس منطقة تمتاز بكثرة التعرجات، ويقع فيها جبل " كونبيرا " فيقسم المنطقة إلى قسمين، حيث الجزء الشمالي الذي سقطت عليه القنبلة الذرية، هو حي " أوراكامي "، أما الجزء الجنوبي فهو المدينة الأصلية انشأت منذ القدم، أما المدينة من حيث العمران فهي على شكل مستطيل، وعلى طول البحر مما يجعل ناعازاكي وولنغتُن تتشابهان من حيث ما تلتفت ترى البحر، فضلاً عن لكل منهما تمتلك أجمل الموانئ . بين الرحالة أن أسم القنبلة التي أطلقت على ناغازاكي هي " الرجل البدين " وهي من البلوتونيوم ، أما على هيروشيما فأطلقوا

---

[1] ينظر : طريق الآلهة من منائر بابل إلى هيروشيما : 35 .

[2] المصدر نفسه : 36 .

[3] هيروشيما ونغاساكي مأساة القنبلة الذرية، تأليف : ناكيشي إيتو، ترجمة : أكيرا اكويانو، مراجعة : محمود عبده، دار الشروق بيروت – لبنان، ط 1، 1414هـ – 1994م : 41 .

[4] طريق الآلهة من منائر بابل إلى هيروشيما : 37 .

[5] ينظر : طريق الآلهة من منائر بابل إلى هيروشيما : 58 – 59 – 61 .

عليها أسم " الولد الصغير " صنعت من اليورانيوم [1]، الرحالة هنا وصف هذه المدينة وصف تفصيلي . ويوضح أيضاً أن لمدينة ناغازاكي أكبر مصنع لصناعة السفن في اليابان هو " مصنع ناغازاكي " حيث تم صناعة أكبر بارجة حربية خلال الحرب العالمية الثانية هي " موساشي "، والتي تُعدّ أختاً لأضخم بارجة بالعالم وهي " ياماتو "، حيث أن " موساشي " تزن نحو ثلاثة وسبعين طناً ومزودة بتسعة مدافع رئيسية، وفيها طائرات وبعض الخصائص الأُخرى، ويبلغ طولها مئتين وثلاثة وستين متراً [2]، ذكر الرحالة هنا الاحداث التي مرت بها هذه المدينة " إلا أن نغاساكي رغم هذا كان لها وجهها الرهيب . أن فكرة انفتاح البلد للخارج بدأت تتغلغل في اليابان عن طريق نافذة نغاساكي . وأن الحضارة الغربية والتكنولوجيا الحديثة دخلتا إلى اليابان خلال هذه النافذة الضيقة ومهدتا تمهيدا عظيما لليابان الحديثة " [3]، إن توظيف المكان في أدب الرحلات من الوسائل الفنية ذات الأعماق البعيدة، ولهذا فأن هذا المكان لديه ملامح ذاتية، وسمات جمالية وتجارب اجتماعية مما يؤهله لأن يكون هذا العمل متكامل فنياً [4]، أو حسب طريقة وصف الكاتب لهذا المكان .

ولهذا فأن " الرحلة معاناة، والسفر مشاركة للمكان في التحول، واستبدال منظر بمنظر"[5]، وللرحالة " باسم فرات " معاناة من حيث تنقله بين الأمكنة إلا أن هذه المعاناة دائماً ما تأتي بثمارها، من حيث الوصول إلى الأماكن التي يزدهر بها البلد، هذا ماوصفه حين انتقل من هيروشيما إلى كيتو والعاصمة الأقدم " نارا " بلا شك أنهما أهم مركزين حضارين ثقافين في اليابان إذ من خلالهما يتجلى تاريخ اليابان الثقافي، هذا من جانب من جانب أخر يصف لنا في مدينة " كيتو " أين ما تتجول ترى التاريخ معك في كل مكان، فضلاً عن احتوائها على سبعة عشر موقعاً للتراث العالمي مُسجلاً في منظمة اليونسكو[6] . إن مدينة " كيتو " كانت من ضمن المدن الناجية من القصف الأمريكي، وهي واحدة من المدن التاريخية لليابان : " **مدينة كيتو وأسمها القديم " هيان " قريبة من نارا وأوساكا، وهي واحدة من أهم مدن اليابان وعواصمها التاريخية، وواحدة من أكبر المناطق الحضرية في اليابان، تشبه المدن النهرية العريقة ولا تشبه سوى نفسها نجت بأعجوبة من القصف الأمريكي، لتبقى متحفاً حياً نابضاً بالجمال** " [7]، هنا وصف الرحالة هذه المدينة التي نجت من المأساة التي حدثت لليابان ومن المدن اليابنية الأخرى، التي لاقت حضور في

---

[1] ينظر : المصدر نفسه : 98 – 99 .

[2] ينظر : المصدر نفسه : 107 .

[3] هيروشيما ونغاساكي مأساة القنبلة الذرية، تأليف : ناكيشي إيتو : 45

[4] ينظر : السرد القصصي وجماليات المكان، د. أحمد طالب، مجلة الموقف الأدبي، أتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد 403، تشرين الثاني، 2004 م : 2 .

[5] فلسفة المكان في الشعر العربي " قراءة موضوعاتية جمالية، د. حبيب مونسي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د. ط، 2001 م : 20 .

[6] ينظر : طريق الآلهة من منائر بابل إلى هيروشيما : 191 – 192 .

[7] المصدر نفسه : 193 .

نفس الرحالة هي مدينة " نارا " فيصفها وصف تفصيلي، فهذه المدينة كانت عاصمة اليابان للفترة بين 710 – 784 م، وتحتوي على ثلاث مواقع تراثية، ومن ضمن هذه المواقع تحوي على عشرين مركزاً آثاريّاً، فضلاً عن المعابد البوذية والمزارات الشنتوية [1]، وهنا ذكر الرحالة أن لهذه المدينة آثاراً لهذاعُدّت من المدن المهة لبلد اليابان فضلاً عن ذلك هناك أهمية أخرى لهذه المدينة وهي الدينية والتراثية إلى جانب أهميتها التاريخية .

هـ – المدن التراثية

وهي المدن التي تتسم بطابع البلد ونشر تراثه بين الآخر ومعرفة الفروقات بينهما والكاتب قد ذكر هذه المدن لمعرفة ثقافة البلد الآخر المغاير بحسب تجواله بين هذه البلدان ومن هذه المدن هي: ذكر الرحالة أن هناك مدن تجري فيها فعاليات منها مدينة " أمباتو" الذي يصف فيها طقوس تراثية داخل المدينة، فيقول : " **حضرتُ استعراضاً مدهشاً في مدينة أمباتو وتقع شمال بانيوس، وهو استعراض الزهور والفواكه ....، وكان تصميم السيارات والعربات مدهشاً، حيث الفواكه وأنواع الزهور جعلت من عربات الاستعراض لوحات فنية طبيعية** " [2]، من هذا الوصف جعل الرحالة المدينة لوحة مدهشة من حيث التصميم والاستعراض في هذه المدينة فهي تعدّ واحدة من المدن التراثية لهذا البلد ولهذا ذكرها الرحالة لمعرفة الفروقات بين المدن . مدينة أخرى يوضح فيها الرحالة ثقافات الشعوب ومقارنة بين المجتمع السوداني والمجتمع الشرقي فضلاً عن المجتمع الغربي بعاداته وتقاليده، فيقول : " **حفلات الزواج في لاوس وفي السودان أيضاً، مفتوحة أي بأمكانك وأنت مدعوّ لحفل زواج أن تدعو صديقاً لك وهو ليس مدعواً، فالمجتمع اللاوي والسوداني يمكن أن يطلق عليه بالمجتمع المفتوح، بينما في المجتمع الغربي لا يمكن دعوتك إلى حفل زواج أن لم تكن مقرباً من أحدهما ؛ أي العروس والعريس** " [3]، هذه العادات والتقاليد التي وجدناها في السودان التي تختلف هذه العادات والطقوس من قبيلة إلى أخرى كون أن المجتمع السوداني مجتمع تكثر فيه الأصناف والأعراق، فضلاً عن ذلك لاوس تعدّ من المجتمعات المنفتحة للأجناس الأخرى هذا مارأيناه من خلال هذا النص، ألا أن المتجمع الغربي يختلف اختلافاً كلياً عن هذه المجتمعات فهو مجتمع منغلق على نفسه من حيث العادات الخاصة بالزواج، أما في شمال لاوس، يصف لنا الرحالة عن عادات وتقاليد هذ المجتمع من حيث أن الثروة تذهب للمرأة وليس للرجل فيقول : " **في وسط وشمال لاوس، في الأراضي المنخفضة وليس في الجبال، ثروة الأسرة تمر وتنتقل خلال المرأة وليس خلال الرجل عندما يتزوجون يذهب الرجل إلى بيت الزوجة وليس** العكس **في الأسر الثرية** " [4]، ففي هذه الحالة أن الزوج يصبح مقيداً وتقوم المرأة بفرض الأوامر عليه، حتى يصبح المال سيد الموقف من خلال ملاحظتنا لهذه العادات والتقاليد الخاصة بهذا المجتمع الشرقي رأينا أن هناك فروقات كثيرة بين هذا المجتمع والمجتمع العراقي بوصفه وطن الرحالة من حيث الثروة

---

[1] ينظر : المصدر نفسه : 208 .

[2] الحلم البوليفاري رحلة كولومبيا الكبرى : 73 .

[3] طواف بُوذا: 26 .

[4] المصدر نفسه : 26 .

التي تصبح بيد المرأة أما في المجتمع العراقي نرى عكس ذلك فالثروة تصبح بيد الرجل، فضلاً عن عادات الزواج فأن في المجتمع العراقي المرأة هي من تذهب إلى بيت الرجل عكس المجتمع الشرقي ، ولهذا فاللمكان سطوته في النص الرحلي . وهناك مدينة تشتهر بتنوع الإثنيات وهي محافظة " فونغسالي " فهي من المدن التي تحتوي على مجموعة من الإثنيات فهي تقع بين محافظتي فيشير إليها الرحالة، فيقول : " **المدينة التي تقع بين بين يونان " الصين " ومحافظة دين بين " فيتنام " ما جعل ثقافتها عادات وتقاليد متأثرة بالصين حوالي 77% غابات وارتفاعها يتراوح بين 450 – 1800 فوق مستوى سطح البحر، ...، وتحتوي المحافظة على ثلاث عشرة مجموعة إثنية** " [1]، هنا الرحالة وصفها وصف دقيق من تأثر هذه المدينة أيضاً بالثقافة الصينية ويبين الرحالة هنا في هذه المدينة، ويصف الفرق بينها وبين فينتيان من حيث الأجواء، ومن حيث تصاميم بيوت فأن وصف المكان هنا يتضمن وصف العمارة وتاريخها وطرق البناء لكل منهما فيصفها وصف تفصيلي، يقول: " **موقع هذه المحافظة جعلها منطقة باردة ويكثر فيها الضباب، والملاحظة التي لفتت انتباهنا تصميم بيوتها المنغلقة حماية لساكنيها من البرد، بينما بيوت العاصمة فينتيان على سبيل المثال مفتوحة بسبب الطقس وارتفاع درجات الحرارة** "[2]، هذه المدينة التي اشتهرت بكثرة الضباب فيها إلى جانب عادات وتقاليد هذه المدينة من حيث تصاميم البيوت، حيث أن كل مدينة تشتهر بعادات تختلف عن المدن الأخرى .

و – المدن الدينية

واحدة من المدن التي تعكس ديانة البلد فلكل بلد من البلدان التي زارها الرحالة ديانة مختلفة، على الرغم من أن هناك بلدان لها أكثر من ديانة وسنأخذ نموذج من هذه المدن حيث يذكر لنا الرحالة أن مؤسس مدينة بانكوك عاصمة تايلاند هو راما الأول، فضلاً عن اشتهار هذه المدينة بكثرة المعابد فيها فيقول : " **إذ أسس الملك راما الأول على الجهة المقابلة من نهر تشاوفرايا وقبل مصبه في خليج تايلاند ، مدينة بانكوك لتصبح منذ ذلك التاريخ عاصمة للبلاد، وتضم"400" معبد بوذي** " [3]، ذكر الرحالة مؤسس بانكوك هذ المدينة المشهورة، فأن وصف الأماكن الدينية لها خصوصية في عكس تراث البلد العمراني وديانته، فكل مكان يعدّ هو هوية السكان الذي يعيشون فيه فهذه المدينة تشتهر بديانتها البوذية وكل مدينة لها ديانة مختلفة وحسب تعدد الأعراق فيها، حيث " إن تحديد المكان يتم بمنحه اسماً خاصاً يميزه عن الأماكن الأخرى " [4]، أي حسب موقع المكان وشهرته .

ي– المدن الخطرة (المكان المعادي)

---

[1] طواف بُوذا: 124.

[2] المصدر نفسه: 124 .

[3] المصدر نفسه : 94 .

[4] البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، د. مرشد أحمد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان – الأردن، ط 1، 2005 م : 132 .

وهي إحدى المدن التي تشكل خطر بالنسبة للرحالة ولم يذهب إليها إلا أنه ذكرها هنا لبيان أهمية هذه المدينة بالنسبة للمدن الأخرى، حيث أن هناك أماكن لا يشعر الإنسان بالألفة نحوها، بل على العكس من ذلك يشعر نحوها بالعداء[1]، المدينة في رحلات باسم فرات تحمل معاني متعددة منها ما يتعلق بالتاريخ منها ما تصف بالجمال، إلا أن هناك مدن سلبية من حيث طبيعتها لما فيها من أحداث الجرائم واللصوص، ومن هذه المدن هي مدينة " القاع " هي أحد مدن الأكوادور " **لم أذهبْ لقاع المدينة بشكل كامل وأعني القاع من حيث الجريمة والفقر والمخدرات واللصوص وكل الهامش، علماً أن هذه المدينة هي أخطر مدن الأكوادور** " [2]، الرحالة هنا كان حذر من الاقتراب من هذه الأماكن كونها تشكل خطر على حياته رغم ذلك ذكرها هنا لتوضيحها بالنسبة للقارئ .

الخاتمـــــــــــة :

عند دراستنا للمدينة في أدب الرحلة توصلنا لعدد من النقاط الرئيسية وهي :

1 – احتلت المدينة جزءاً واسعاً في الرحلة أكثر من القرية

2 – بروز عدد من المدن أكثر من غيرها ولاسيما المدن الفقيرة .

3 – أن الرحالة (باسم فرات) يحاول رسم ملامح المدينة بريشة المبدع ، ويضفي على المكان جمالية تفوق الواقع .

4 – تفرد المدن التي زارها (باسم فرات) بأنه الرحالة الأول الذي يسلط عليها الضوء مثل مدينة " هيروشيما " في اليابان ، إذ رسمها بشكل مغاير للقارئ ، إذ صور الجانب الفقير فيها ، ورسم حجم المعاناة التي وقعت عليها .

5 – أن الرحالة (باسم فرات) يحاول أن لايعطي للقارئ معلومات جغرافية بل يحاول أن يقدم المكان بشكل أدبي مميز .

6 – ينفرد فن الرحلة عند (باسم فرات) بالتصوير اللغوي والتكثيف في وصف المكان ، مما يجعل نصوصه لاتمل أثناء القراءة .

---

[1] ينظر : البناء الفني في الرواية العربية في العراق 2، د. شجاع مسلم العاني : 129 .

[2] مسافر مقيم عامان في أعماق الأكوادور : 33

المصادر :-

- التبئير السردي في رويات تحسين كرمياني، بختيار خدر ده ركه له يي : 193
- الحلم البوليفاري رحلة كولومبيا الكبرى : 32 – 33 .
- الحلم البوليفاري رحلة كولومبيا الكبرى : 60 .
- دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان، قادة عقاق، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د . ط، 2001 م : 22 .
- دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان، قادة عقاق: 23.
- طواف بوذا : 127 .
- طواف بوذا : 102 .
- طواف بوذا : 115 .
- الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا، د. إبراهيم جنداري : 217 .
- الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا، د. إبراهيم جنداري : 217 .
- لا عشبة عند ماهوتا : 41 .
- لا عشبة عند ماهوتا : 41 .
- مسافر مقيم عامان في أعماق الأكوادور : 43 .
- مسافر مقيم عامان في أعماق الأكوادور : 77 .
- مسافر مقيم عامان في أعماق الأكوادور : 77 .
- مشاهدات في تايلند ، محمد بن ناصر العبودي، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، ط1، 1421هـ – 2001 م : 52 .
- الموسوعة التاريخية الجغرافية، مسعود الخوند، دار رواد النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، د. ط، ج 2، 1994 م : 316 .
- الموسوعة التاريخية الجغرافية، مسعود الخوند، دار رواد النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، د. ط، ج 2، 1994 م : 316 .
- هي جبال الحجر أو الصخر الليموني، سلسلة كهوف تام فاتوك التي كانت ملجأً للناس في حرب الهند الصينية الثانية (ينظر : طواف بوذا : 126)

- وهو الأسم الماوري لهذا البلد، الذي يقع في اقصى جنوب الجنوب وأهله يعترفون بنوع من الاعتداد .إنه آخر بلد في العالم، وأول بلد يستقبل شروق الشمس، وأول بلد أعطى حقوق المرأة (لا عشبة عند ماهوتا : 22) .
- وهو الأسم الماوري لهذا البلد، الذي يقع في اقصى جنوب الجنوب وأهله يعترفون بنوع من الاعتداد .إنه آخر بلد في العالم، وأول بلد يستقبل شروق الشمس، وأول بلد أعطى حقوق المرأة (لا عشبة عند ماهوتا : 22) .
- ينظر : بُنية المكان في رواية " صائد اليرقات " لـ " أمير تاج السر "، عبد الرحمن مزياني، رسالة ماجستير في ميدان اللغة والأدب العربي، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي، 2012 – 2013 م : 46.

Abstract

The city is the basic building block for the trip at Bassem Furat because of its urban and natural construction, which qualified it to be an attractive place for personalities, especially for travelers "Bassem Furat", and for tourism in general. and distinguishing it from other cities as attractive places, so our research included a city with natural "geographical" characteristics such as "Misawaji" and "Cuzco and other Asian cities. Then we stopped at the cities that are located on the coast and contain harbors for ships because of the great cultural diversity they contain because they are cities that receive incoming tourists from different cultures and linguistic and religious moods. development and civilization as well as its cultural and religious advantages.

Keywords: the city, the journey, the other, the historical place, the religious place, the capitals,".